وذكر جار الله الزمخشري: «أنّ جارية سرويّة كانت تستجدي بمكّة وقت الظهر، حين غلق الناس أبوابهم، وأووا إلى مقائلهم، تقول: عُيَينتي نُوَيظرة إلى الله وإليكم، تتوقّع فضل ما عندهم»[35]. وهنا مناوشات ومناقشات سوف نتعرّض لها إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى: (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[36] أخذه أهل الظاهر دليلاً على تحيّزه تعالى، مستوياً على عرشه، متدلّياً برجليه! وينزل في الليالي المتبرّكة إلى سماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر؟ هل من منيب؟[37] وقد ذهب عنهم أنّ التعبير بالعرش في هكذا مجالات، يُراد به عرش التدبير، كناية عن القدرة والاستيلاء التامّ، وهكذا: التعبير بالكرسي[38] كناية عن استقرار ملكه تعالى، وليس المراد سرير الملك وأريكته المعهودة، والاستعارة في ذلك جارية عند العرب في الخُطَب والشعر. قال الأخطل وهو يمدح بشراً أخا عبدالملك بن مروان حينما استولى على إمرة العراقَيْن: قد استوى بشر على العراق *** من غير سيف ودم مهراق[39] وجاء الاستواء بمعنى: استقامة الأمر أيضاً، كما في قول طرمّاح بن حكيم: طال على رسم مَهدَد أَبَدُه *** وعفا واستوى به بَلَدُه[40]